الرد على منكري الشفاعة

كتبته عائشة بنت أبي بكر بتاريخ الثلاثاء ٤ رجب ١٤٤٢

بسم الله, قال الله تعالى مخبرا عن حال المؤمنين

﴿ وَتُؤمِنونَ بِالكِتابِ كُلِّهِ ﴾[آل عمران: ١١٩]

وقال

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ادخُلوا فِي السِّلمِ كافَّةً ﴾[البقرة: ٢٠٨]

وقال الله مخبرا عن حال الكافرين

﴿ أَفَتُؤمِنونَ بِبَعضِ الكِتابِ وَتَكفُرونَ بِبَعضٍ ﴾[البقرة: ٨٥]

فتخير نفسك من بين هؤلاء الفريقين واختر طريقك ..

اكتب عن الشفاعة بعد بحث واستقراء, فقد استمعت لأدلة كل النقيضين.

الفريق الأول يضرب كتاب الله بعضه ببعضه, ومعنى هذا هو إثبات شيء, وإنكار ونفي شيء آخر, والشيئان ثابتان في دين رب البرية.

والطرف الثاني يثبت كل ما أثبته الله في كتابه, وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم, وحين تعارض الفهم يرجعون الأمر لله ولرسوله وليس لعقل محدود مقتصر, ويقولون ءامنا به كلٌ من عند ربنا.

الشفاعة التي أنكرها البعض بدعوة أنها معارضة للقرآن, والتمسك بأدلة دون غيرها.

والسبب الرئيسي لهذا الشيء هو رد معتقد المخالف لهم الخاطئ, فعالجوا الخطأ بالخطأ.

رأوا أن أغلب الناس متمسكة بالمعاصي والكبائر ومصرة عليها وأنها لا تضر مع إيمان بسبب فهمهم المخالف لمراد الله ورسوله, أو بالأصح تحريف لمعنى الشفاعة, فلم ينكروا عليهم معتقدهم المخالف للإسلام فقط, بل أنكروا معه دليلهم أيضا!

والسبب الثاني هو اتباعهم واندراجهم في دين الذين افتتنوا بالفلسفة اليونانية "الأرضية" فأدخلوا في دين الله "السماوي" الرأي والمنطق, وأحد هذه الآراء أن أخبار الآحاد[1] لا تقبل ولا يحتج بها في مسائل "الاعتقاد" -على حد قولهم- فلا أدري كيف فرقوا وقسموا الدين على هذا الأساس!

الأحكام التي يقبلونها من طريق "آحاد" هي أيضا دين يُتعبد الله بها

فالأحكام والعقائد كلاهما دين, وكلاهما داخل في المعتقد أساسا!

فعلى أي أساس يقبل هذا ولا يقبل ذاك؟

فلهم دينهم الفلسفي الأرضي الذي يقدسون فيه معبودهم المخلوق القاصر المحدود, ولنا نحن المؤمنين ديننا الرباني المبني على التسليم المطلق لله ولما أنزل والإيمان به

فإن جملة مايعرف به العبد حقيقة الإيمان هي الأمور الغيبية, فالمؤمن لم يرى الله عز وجل ومع ذلك قد آمن به, ولم يرى النبي وآمن ولم يرى الجنة ولا النار ولا الميزان ولا الصراط ولا كيفية عذاب القبر ومع ذلك آمن,

والـشـفـاعـة !

من جملة هذه الأمور الغيبية الثابتة في الـقـرآن والسنة فمن لم يؤمن بالغيب فلا إيمان له وهو من الملاحدة الذين لا يؤمنون باليوم الآخر!

أدلة حصول الشفاعة يوم القيامة

والآن نشرع في الكلام أن الشفاعة حق وكيف أنها ثابتة عقلا ونقلا وغير مخالفة لهما, بالدليل من القرآن والسنة ..

يقول الله عز وجل

﴿ يَعلَمُ ما بَينَ أَيديهِم وَما خَلفَهُم وَلا يَشفَعونَ إِلّا لِمَنِ ارتَضى وَهُم مِن خَشيَتِهِ مُشفِقونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

فالشفاعة موجودة بدليل هذه الآية, ولكن ليست لمن لم يرض عنهم اللّه, بل لا يشفعون إلا للذي رضي عنه الرحمن, فالكافر والظالم لنفسه المتعدي لحدود اللّه لا تنفعه الشفاعة كما في الآية

﴿ فَما تَنفَعُهُم شَفاعَةُ الشّافِعينَ ﴾ [المدثر: ٤٨]

يوجد شافعين ..

ولكن من؟ ولمن؟ وكيف تكون؟

هذا يرد لله ولرسوله فالوحي هو من يضع شروطها, ليس لرأي أهل الضلال ولا لرأي المنكرين, فهذا أمر غيبي كيف سنعرفه بدون الرجوع إلى القرآن والسنة؟!

توجد شفاعة منفية,ألا وهي التي كان يعتقدها المشركون في آلهتهم

{ومانرى معكم شفعاؤكم الذين زعمتم أنهم فيكم شفعاء}

وقال

{ويعبدون من دون اللّه مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه}

فنسب اللّه عز وجل الشفاعة لنفسه وهي كذلك

{قل لله الشفاعة جميعا}

فالتي تكون له بإذنه ورضىً منه هي لله أيضا.

نفى اللّه الشفاعة عن الكافر قال اللّه

{ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع}

فلا يتصور عاقل أن تؤخذ هذه الشفاعة المنفية, لكي ينفي بها الثابت ويبدأ يضرب القرآن ببعضه! ولا يستغفل بهذا إلا أحمق جاهل

الشفاعة الثابتة، وشروطها من القرآن والسنة

إذن اللّه للشافع أن يشفع قال اللّه عز وجل

{مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}

وقال

{مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ}

إسلام المشفوع فيه ورضا الله أن يُشفع فيه

{وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى}

وقال

{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى}

أن لا يكون ممن حبسه القرآن وحق عليه الوعيد والخلود في النار كما في الحديث

[...... فلا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن]

فهذه الشفاعة الثابتة ولا ينكرها إلا ملحد.

إذا كانت الشفاعة بهذه الشروط

-رضى الله .. وما أدراك ما رضى الله ؟!

-أن لا يحبسك القرآن .. وما أدراك ماهو حبس القرآن لك!

تالله من عرف قدر هذه الشروط العظيمة الصارمة لن يتكل على أمانيه أبدا.

السؤال الأهم الآن إذا كانت التوبة قبل الممات من الشروط في القرآن وإذا كانت إحاطة السيئة بك سبب لخلودك في النار[٢]

فلمن هي الشفاعة؟

إن من ينكر الشفاعة بزعم أنها معارضة للقرآن أين معرفته بعدل الله الذي لا يظلم مثقال ذرة والقائل في كتابه

{اليوم تُجْزَى كُلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ اليوم} ؟

نعم الشفاعة ليست في من لم يتب, وليست في الظالمين والفاسقين والمصرين على عصيان اللّه وليست لأصحاب الكبائر كما هي في الشروط!

الذي يعرف عدل اللّه كما جاء ذكر ذلك في الحديث القدسي كيف ينكر رحمة اللّه -الشفاعة- ؟

وهو القائل في كتابه

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}

عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر؛

«عن النبي صلى اللّه عليه وسلم فيما روى عن اللّه, تبارك وتعالى، أنه قال: يا عبادي, إني حرمت الظلم على نفسي, وجعلته بينكم محرما, فلا تظالموا ... »

فهل سيُنسى ظلمك للعباد بالسب والشتم أو الضرب أو أكل حقوقهم أو غيبتهم أو....

التوبة بينك وبين اللّه يقبلها ويغفرها كما وعدنا نعم ولكن من ظلمته هل سامحك؟

عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة, قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم, قبل أن لا يكون دينار ولا درهم, إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته, وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه.

أخرجه أحمد, والبخاري، والترمذي

عن عروة بن الزبير، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل؛ أنه خاصمته أروى في حق زعمت أنه انتقصه لها إلى مروان, فقال سعيد: أنا أنتقص من حقها شيئا؟! أشهد لسمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: -من أخذ شبرا من الأرض, ظلما, فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين

أخرجه ابن أبي شيبة, وأحمد, والبخاري، ومسلم, والبزار, وأبو يعلى، وأبو عوانة, والطبراني، والبيهقي.

فإذا تاب المرء من جميع ذنوبه ولكنه تداركه الموت قبل أن يرد المظالم إلى أهلها أو يعوضهم أو يستسمحهم فهذا سيتخاصم يوم القيامة مع خصمه الذي بأشد الحاجة إلى حسنة واحدة كما قال الله تعالى

{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}

فهذا أمر لله يفصل بينهم وإن دخل النار سيعاقب بقدر مايستحق ويتطهر من آثار ذنبه ومظلمته ثم يرحمه الله إن شاء, فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة ..

والذي يزعم أن الله لا يعذب المسلم فليقرأ هذه الآية الحجة بيننا وبينه قال الله تعالى

{وَآخَرونَ مُرْجَوْنَ لأَمرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِم وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

فهل يتوب الله على مشرك بعد قوله

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغفِر أن يُشْرك بِهِ} ؟

إذاً الذي إما سيتوب عليه, هذا مسلم .. فقد يعذبه, الأمر لله, له الحكم والإرادة.

وأيضا كما في حديث عبادة بن الصامت قول الرسول:

« بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا, ولا تسرقوا, ولا تزنوا, ولا تقتلوا أولادكم, ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم, ولا تعصوا في معروف, فمن وفى منكم فأجره على الله, ومن أصاب من ذلك شيئا, فعوقب في الدنيا, فهو كفارة له, ومن أصاب من ذلك شيئا, ثم ستره الله, فهو إلى الله, إن شاء عفا عنه, وإن شاء عاقبه, فبايعناه على ذلك»

الأمر المهم ذكره هنا, هو أن الشائع عند الناس في نفوسهم أن المشيئة هي الغفران لا محالة!

كيف تجرأ على الله بالجزم وهو لم يجزم؟ ...

فإن لم يقام عليه الحد ولم يعفو عنه الله يكون ممن تحق له الشفاعة بعد استيفاء شروطها.

فهذه أمثلة في "لمن تجب الشفاعة؟" والأمر أوسع من ذلك لمن سيتدبر القرآن ..

١- إن تقسيم الخبر لآحاد ومتواتر تقسيم ماأنزل الله به من سلطان وهو من أكبر الأوهام التي لا فاصل محدد يفصل ويميز بينهم, وهذه البدع أحدثت من الأصوليين والفقهاء المتأثرين بالرأي فلا يلتفت لقولهم هذا من الأساس فـهم وضعوه انتصارا لمذهبهم ليتكلموا في دين الله كيفما شاؤوا بعذر أن بعض النصوص ظنية الثبوت والدلالة, هذا والدليل من القرآن جاء بخلاف قولهم هذا الذي كادوا به الدين, وفتحوا لأعداء الدين مدخل ليطعنوا به

فأصبح أول من أراد أن ينكر السنة أو بعض أحاديث يهرع لأقوالهم في هذا الباب ويصدقونها على أنه "شهد شاهد من أهلها" وهو رأي منهم والدين من هؤلاء الأصوليين وقولهم براء

فقد قال الله عز وجل

{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }

فالنبي صلوات الله وسلامه عليه كان يرسل أصحابه في الأمصار والولايات لتعليم الناس دين الإسلام, فلم يقولوا هذا من طريق لم يبلغ حد التواتر ولا يمكن أن نقبله بل تعلموا الدين جملة وتفصيلا "عقائد" وأحكام, الكلام حول هذا باب يطول, لمن أراد أن يتعمق فيه فليدرسه.

٢- الدليل قال الله تعالى

{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ((فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ))ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ((وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ)) وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}

{بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

{وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}